

## ملك ولا كالمملوك

امبراطور ألمانيا الحالي من أمضى ملوك الارض همة واصدقهم عزيمه واكثرهم اقتداء لا يأخذ ككل ولا مل في كل ما من شأنه ان يرفع قدر شعبه بين الشعوب المختلفة . لما رأى ان بستر كجرحه في سبيل عزيمته يذوق به من حائق ولم يرعه كونه سياسي اوريا الا واحد في زمانه فلم تقم له قائمة بعد ذلك . وآثار الامبراطور واعماله لتكرّر كل يوم وتضوع فما من عمل كبير داخل بلادهم الا وله اليد الطولى فيه ولا من حركة سياسية ذات شأن في سياسة الدول الا وله نار محبوبة تحت رمادها . على انه اذا ذكره التاريخ فانما يذكره بمساعيه المثالية في ترقية الهجرة الالمانية بل في تأسيسها لانها لم تكن شيئاً مذكوراً قبل عهده واذا كفي بشيء فانما يكنى بابي الهجرة الالمانية

كتب بعضهم مقالة في مجلة القرن التاسع عشر اتي فيها على تاريخ علاقة الامبراطور بالحجرة الالمانية منذ تولى سرير الملك قال

لا يزال الشيخ من اهل بورسموث جذكروث غلاماً كانوا يرونه يمشي احياناً على الرصيف وهو يرتب البوارج في دخولها الى الميناء وخروجها منه بزيد الاهتمام والانتباه . فهذا الضلام هو امبراطور الالمان الحالي . فانه لما كانت الملكة فكشور باجده في نبد الحياة كان يزورها صيفاً في اوسبورن واستأجر ابوه قصر نوريس في ضواحي كوس ايام كان ابوه ولياً للعهد وسكده هو وعائلته عدة اشهر فكان للامبراطور الحالي فرصة لتفتيح اعظم اماميه من مراقبة حركات البوارج الانكليزية عن كسب وغصها فحصاديقاً . وكانت السلطنة الالمانية في ذلك الحين بلا اساطيل تذكر وما نشبت الحرب بين فرنسا وبروسيا لم تكن سفن الالمانيين القليلة تستطيع النزول الى ميدان القتال وكانت فرنسا تستطيع حصر سواحل بروسيا بلا مناع . فهذه الامور كانت تخطر في بال الامبراطور عند زيارته لانكلترا فنقد النية على انشاء اسطول كبير لامته عند ارتقائه الى سرير السلطنة الالمانية . وخطب مرة فقال " لما آلت الي مقاليد الملك شرعت في تقليد ما كنت اراه في انكلترا ايام كنت ازورها بانما ( اشارة الى الاساطيل ) ولكن على درجة تلائم موارد امتي ومصالحها " وكانت بستر كجيشنا وزيره الاول فرأى في مثل الخيال امنية الاساطيل لالمانيا اذا شامت ان تكون صاحبة الكلمة المسموعة في السياسة الاوربية وان تنتح الابواب في وجه تجارتها وتمهد السبل لتوسع سكانها ولكنه لم يتطع بحجارة الامبراطور في اندفاعه الشديد فنصرته واستلم الامبراطور دقة

السياسة الألمانية بنفسه . ولم تقض عشرين سنوات حتى ارفع في نفس قومه ان لا غنى لهم  
 عن اساطيل ضخمة عزيزة تحمي ذمارهم وذلك بما كان يفتقده كل يوم من اساليب الدهاء فتر  
 القرار اخيراً على اتخاذ مشروع بهذا الصدد يمدد اعظم مشروع اندمست تطيلوه من الام  
 ويان هذا الاجمال ان الاساطيل الألمانية ستصبح بعد عشرين سنوات اعز اساطيل الدول  
 كلها ما عدا اساطيل انكلترا وتعد العجب عمل سياسي تم على يد رجل واحد لانها صنعة  
 الامبراطور . ولما اقترح انشاء بحرية عزيزة نظر شعبه الى اقتراحه بين ملؤها الاهمال  
 والايحاس لا سيما وانهم كادوا ينهون بانتقال العسكرية فاخذوا يساءلون فيما بينهم قائلين  
 وما عسانا ان نستفيد اذا زدنا على حمل جيشنا الضخم حمل اسطول ضخم يحمي سواحلنا  
 وبسطيح الهجوم لحماية مستعمراتنا الثانية عند الضرورة . فعانى الامبراطور الصعاب حتى  
 حل قومه على الاذعان لرأيه وتحقق آماله

وفي سنة ١٨٨٩ عينته الملكة فكتوريا اميرال شرف البحرية الانكليزية عند زيارته لسيان  
 القوارب في كوس وهو الرجل الاجنبى الوحيد الحائز لهذه الرتبة السامية في البحرية الانكليزية .  
 ولكنه اغتم الفرصة وحول الرتبة من رتبة شرف الى رتبة عمل وتصل الخبر انه خرج ليخضع  
 للطواف في البحر المتوسط وزار اثينا لحضور الاحتفال بزواج شقيقته الى ولي عهد اليونان  
 وكان الاسطول الانكليزي قد اجتمع في مياه بيربوس للاشتراك في الحفلة بقيادة الصرائفوني  
 هكسنس ورتبته نائب اميرال . فزم الامبراطور على تولي قيادة الاسطول لانه ارفع رتبة  
 من قائده في البحرية الانكليزية فذهب الى البارجة " دردنوط " فتولى قيادة اعظم اسطول  
 من اساطيل انكلترا واضطر قائده ان يتنازل له عن قيادته لانه اصغر منه رتبة وسار عليها  
 يفتش بوارج الاسطول . وخطب فيما بعد على ظهر البارجة " رويال سقرن " و اشار الى  
 الحادثة الآتية الذكور وقال وان من احسن ايام حياتي التي لانساها ما دمت حياً تهدي  
 لاسطول البحر المتوسط من ظهر البارجة " دردنوط "

وتهدى مرة الاسطول الانكليزي في مياه مالطة . وذلك انه وصل مالطة ذات مرة  
 وهو يطوف في البحر المتوسط فانزل عنده على تفتيش احدى بوارج الاسطول في اليوم التالي  
 وتوجه الى ظهر البارجة ورفع رايتها عليها . وكان يظن انه يكتبني بالمسير على ظهرها وتناول  
 المرحبات بعد ذلك . ولكنه لم يكده يصل اليها ويستبكر رسمياً فيها حتى خلع حله الرسمية  
 وقال انه مستعد لتفتيش البارجة . فطاف فيها من طرف الى طرف ومن اعلاها الى اسفلها  
 ولم يترك كبيرة ولا صغيرة الا رآها وسأل عنها حتى كل قبطان البارجة ونسي المشروبات

التي كانت قد أعدتها لا كراميوها . ولما اكمل التفتيش وهم بالانصراف وقف على رأس سلم  
البارجة وانتمت الى القبطان وقال " لا بد ان يارجنك اصول بارجة في البحرية الانكليزية "  
فقال القبطان " لا اخبرك ذلك فان طولها ٤٢٠ قدماً فقط " فقال الامبراطور " بل انت  
غضبان " وحينئذ تذكر القبطان ان مراد الامبراطور بانطول طول الفترة بين طعام وطعام  
وهو اصطلاح عامي بين البحارة لا يعرفه سوامم قاضد للامبراطور على ما فرط من الاهمال  
وتوصل اليه ان يعود معه الى غرفة الطعام ويتناول شيئاً فإني ولكنه قال له " في ٢٧ يناير  
عيد مولدي واواسري اليك هي انه اذا جاء ذلك اليوم فأولم وليمة لاخوانك واشربوا مخبي "  
ولما جاء اليوم المذكور اولت الوليمة وشرب الضباط على ذكر الامبراطور وارسلوا اليه  
رسالة برقية قالوا فيها " قد أقتدت اوامر اميرانا وشربنا مخب جلاتكم . ولكن هناك امرآ لا  
نستطيع موافقة جلاتكم عليه وهو ان يارجننا طويلاً " ففهم الامبراطور المراد من ذلك حالآ  
وكان الامبراطور يعتقد منذ بادىء الامر انه يستطيع انشاء اسطول ضخم من غير ان  
يوغر صدور اهالي انكلترا عليه وكان كذلك فانه باح بزمه على انشاء الاسطول وقال انه  
يروم انشاء على مثال الاسطول الانكليزي فسر الانكليز بذلك وعطفوا عليه لجلهم ما  
يرمي اليه ولم يستفيقوا من غفلتهم حتى حدثت غارة جيمسون المشهورة وارسل الامبراطور  
رسالة البرقية الى الرئيس كروجر يشتمه فيها بانتصار قومه على رجال جيمسون فغلبوا على محمل  
سبي وحبسوا اسطولهم في شبيهد لمقابلة الطوازي مع انه أكد لهم مرارآ وتكرارآ بعد ذلك  
انه لم يرد لهم شرآ اعتقادآ منه ان غارة جيمسون انما كانت حركة ثورة ناشئة عن طيش  
وجبل . ولكن تلك الرسالة البرقية وتجهيز الانكليز لاسطول ساعدا الامبراطور على بلوغ رأيه  
لانها انما سواكن الامة الالمانية واقناعها بوجوب موافقة الامبراطور على تكبير الاسطول .  
وعليه وافق مجلس النواب الالمانى سنة ١٨٩٨ على ذلك ولكن الامبراطور لم يكتف به .  
وكان الزمان كان يجاريه على مراده فحدثت حرب الانكليز واليوبر وجرت الى مشاكل مع  
المانيا بسبب بيع تجار الالمان الدخائر الحربية لليوبر . ورأى اهل التجارة الالمانية اذ ذلك ان  
حكومتهم لا تستطيع ان تبقي باب الكسب مفتوحآ في وجههم من بيع الاسلحة بسبب ضعف  
الاسطول الالمانى فقنعوا معنى القوة البحرية وادركوا لزومها لاسيا وانهم رأوا روسيا تسرح  
وتترج في الشرق الاصى وانكلترا لا تمذ بدأ لمقاومتها لاعتمادها بقوة الاسطول الرومى .  
فلم يأت ربيع سنة ١٩٠٠ حتى وافق مجلس النواب الالمانى على لائحة جديدة لتكبير  
الاسطول بحيث يكون لالمانيا سنة ١٩١٢ ثمان وثلاثون بارجة وعشرون طرادآ مدرعا

كبيراً وغاية وثلاثون طراداً للاستطلاع وثمة واربع واربعون سفينة للتوريد  
 واتفق ان الطرادات الانكليزية قبضت في تلك الاثناء على بواخر المانية في خليج ولاجوى  
 لاقتباها في تهريب الحون والذخائر الى البوير فأقام الطيراهن المانية واقدم وغنت مراجل الصمر  
 واخذت في صدورهم على الانكليز فأرسل الامبراطور رسالة برقية الى ملك ورتجرج أمل فيها  
 " ان حوادث الايام الاخيرة أفتت الدين لم يقتعروا بعد ان لا غنى لالمانيا عن المحافظة  
 على شرفها ومصالحها في عرض البحار فلا بد لها ان تكون عزيزة بجزراً كما انها عزيزة بجزراً"  
 وما زال الامبراطور يطلب المزيد في سبيل تعزيز البحرية الالمانية وراى ان شعبه في  
 حاجة الى ما يثدد عزائمه ففسي سياً متواليات افضى الى اثناء جمعية البحرية الالمانية برعاية  
 شقيقه البرنس هنري . ويقال انه ما من جمعية من الجمعيات التي ألفها اناس في كل زمان  
 ومكان كان لها من الرفع في النفوس ما لهدم الجمعية من الرفع في نفوس الالمانيين . ولها فروع  
 في جميع أنحاء السلطنة الالمانية والالمانيون يعدون الانضمام اليها شرفاً ودليلاً على الولاء لان  
 شقيق الامبراطور رئيسها ولانها أنشئت لنشر آراء الامبراطور في ما يتعلق بالبحرية . وقد  
 زاد عدد اعضائها الى الآن على نصف مليون ولها ايراد قدره ٣٠٠٠٠٠ جنيه سنوياً  
 ومن الوسائل التي تدرع الامبراطور بها الى ترسيخ المبادئ البحرية في اذهان قومه  
 اشتغاله هو نفسه بذلك قولاً وعملاً . فانه خطب ذات يوم على اعضاء مجلس النواب ساعين في  
 مستقبل الاسطول الالماني وايد اتواله برسوم كان قد رسمها يدم . وأرسل اليهم مرة أخرى  
 احصاء مدققاً بقوة جميع الاساطيل العظمى . وله اليد الطولى في تعيين الاغوزج الذي يراد  
 بناء البوارج عليه لانه مهندس ماهر حتى قال فيه احد مدبري الترسانة الانكليزية انه لا يظن  
 ان بين اميرالية الانكليز من يعرف دقائق البوارج وكل آلة فيها مثل امبراطور الالمان  
 ومن ساعيه بهذا الصدد جعله كمال محط الا نظار باقامة سباق البتوت فيها كل عام  
 فيتظاهر اليها الاغنياء والكبراء من كل حذب وصب حتى فانت كوس في ذلك . وما اثلقت  
 منذ ارتق الى سرير السلطنة الالمانية بشجع شركات البواخر الالمانية على العمل بانواله واقباله  
 حتى اخلصت السيادة على الاتينيكي من شركات البواخر الانكليزية . ويكنى ان يقال فيه  
 انه لما آل الحكم اليه كان الالمان يعتقدون ان انكفرتا صاحبة السيادة التي لا تنازع على البحار  
 فما زال بهم حتى اتعبهم باخلاف وان مستجلبهم على البحار . وهو ينفق ايام عطلة ينقل على  
 يفتنه من مكان الى مكان مع انه يصاب بالدوار اذا اشدت الانواء . وحيث رسا يخته اوسار  
 فهناك تخصص الابصار ونجوم الافكار على ملك لاهم له الا اغلاء البلاد واسعاد البلاد